الفصل الثانى

المجالات التى استخدمت فيها كلمة الأخ

المبحث الأول ـ الحث على الالتزام بعقيدة التوحيد :

مما ميز الله به الأمة الاسلامية على غيرها من الأمم ، أن المؤمنين بمبدئها والعاملين بمنهجها تربط بينهم أخوة فى الدين وفى العقيدة ، وأخوة فى العمل والسلوك وأخوة فى الدعوة الى دين التوحيد والجهاد فى سبيل الله .

ومن هنا ندرك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قدم المدينة المنورة مهاجرا اليها ليستقر فيها وليقيم الدولة الاسلامية الداعية الى الله المجاهدة فى سبيله ، كان من أبرز أعماله ومن أوائلها عملان :

١ ـ بناء المسجد .

٢ ـ والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار .

واذا كان المسجد جزءا لا يتجزأ من حياة المسلم ، لا تستقيم حياته الا به ، فان المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار كانت عملا لا يستطيع المسلمون أن ينطلقوا بدعوتهم وحركتهم فى البشرية الا به كذلك ، فهى الركيزة التى اندفع المسلمون ـ معتمدين عليها ـ بدينهم يبلغونه ويدعون اليه ويجاهدون فى سبيله ، متآخين متحابين فى الله يعرف كل منهم لأخيه حقوقه فيرعاها ويحافظ عليها ، فكانوا بذلك صفا واحدا وبناء قويا ثبت لزعازع الشرك والوثنية والضلال ، وتصدى لأهواء الكفر والنفاق والجمود على الباطل والتشبث بالأوهام .

ولقد كانت الاخوة الاسلامية فى الاسلام أول الأمر يمتد أثرها الى التوارث بين الأخوة فى الدين بعد الموت ، وظلت كذلك حتى تغيرت بجعل هذا التوارث بين أولى الأرحام فحسب .

ولا بد لنا أن نلقى نظرة على نص وثيقة الأخوة فى الدين كما وردت فى كل كتب السيرة كاملة وفى كثير من كتب السنة النبوية مجزأة.

وهذا هو نص الوثيقة :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« هذا كتاب من محمد النبى بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم ... أنهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم ، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

وأن المؤمنين لا يتركون مفرحا بينهم أن يعطوه بالمعروف فى فداء أو عقل ، وألا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه •

وأن المؤمنين المتقين أيديهم على كل من بغى عليهم ، أو ابتغى دسيعة ظلم أو اثما أو عدوانا أو فسادا بين المؤمنين ، وأن أيديهم عليه جميعا ولو كان ولد أحدهم •

ولا يقتل مؤمن مؤمنا فى كافر ، ولا ينصر كافرا على مؤمن •

وأن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم ، وأن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس •

وأنه من تبعنا من يهود فان له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم •

وأن سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله الا على سواء وعدل بينهم •

وأن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا •

وأن المؤمنين يبىء بعضهم على بعض بما نال دماءهم فى سبيل الله •

وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه •

وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا ولا يحول دونه على مؤمن •

وأنه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فانه قود به ، الا أن يرضى ولى المقتول بالعقل ، وأن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم الا قيام عليه •

وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما فى هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا أو يؤويه ، وأن من نصره أو آواه فان عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل •

وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء ، فان مرده الى الله والى محمد ... »[1] .

وان نظرة متأملة فى هذه الوثيقة لتدلنا على أن حقائق كبرى من حقائق هذا الدين العظيم آخذة طريقها نحو التطبيق والتنفيذ ، لتكون المجتمع المسلم الراشد المتكامل ، ومن أبرز هذه الحقائق :

١ ــ تأكيد وحدة الأمة الاسلامية وترابطها وتميزها من دون الناس بايمانها الصحيح واسلامها الواعى المستجيب ، بدا ذلك فى قوله صلوات الله عليه : « ... المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم ... أمة واحدة من دون الناس » . وفى قوله : « وأن سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله الا على سواء وعدل بينهم » .

٢ ــ تميز الأمة الاسلامية عن سواها من الأمم ، بأنها تحمل الى البشرية آخر كتاب سماوى يهديها فى دنياها وآخرتها ، وبأنها الأمة التى تحمل تبعة الدعوة ، دعوة البشرية كلها ، الى هذا الدين ، لتأكيد أنها خير أمة أخرجت للناس .

أوضح الرسول صلى الله عليه وسلم هذا التميز للأمة الاسلامية فى قوله : « وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه » وأحسن الهدى هو القرآن الكريم أكمل الكتب السماوية ، وهذه الكلمة عندى أشبه شيء بالنذير العريان لكل من تسول له نفسه أو يزين له شيطانه من المسلمين ، أن على وجه الأرض نظاما أو منهجا يشبه المنهج الاسلامى أو يقاربه فضلا عن أن يساويه ، فضلا عن أن يلجأ اليه بعض الغافلين من المسلمين ليستعينوا به .

٣ ــ اعلاء عنصر الايمان ورفع شأن المؤمنين . ولقد كان مجتمع المسلمين فى الماضى ــ ولا يزال فى الحاضر ــ بحاجة الى أن يؤكد له الرسول

---

(١) السيرة النبوية ــ ابن هشام ، جـ ١ ص ٥٠١ ــ القاهرة ــ مطبعة الحلبى ، ١٣٧٥ هـ .

صلى الله عليه وسلم أن المؤمن أعلى عناصر الوجود قدرا وأرفعها ذكرا عند الله سبحانه ، فنحن كثيرا ما نؤتى من قبل احساسنا بهوان أنفسنا وهوان تاريخنا ، لذلك جاء هذا النص فى تلك الوثيقة ليعلى من شأن المؤمن وهو قوله صلى الله عليه وسلم : « ... وألا يقتل مؤمن مؤمنا فى كافر ، ولا ينصر كافرا على مؤمن » وان ذلك الاعلاء لعنصر الايمان هو الذى يعطى المسلم اعتزازا بنفسه وبدينه ، ويمده بالمعرفة الحقيقية للكفر والكافرين كما جاء ذلك فى قوله تعالى : **﴿ ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون ﴾(١)** .

٤ ــ تكافل المسلمين وتكاتفهم فى الحرب ، وذلك فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « وأن المؤمنين لا يتركون مفرحا بينهم » والمفرح : المثقل بالدين والكثير العيال ، فهذا يرعاه اخوانه المسلمون ولا يتركونه لدين يفدحه ولا لنفقه عيال تعجزه ، هنا واجب المسلم نحو أخيه المسلم فى السلم والأمن ، فاذا كانت حرب وجهاد فى سبيل الله فان المسلمين يتكافلون فيما بينهم ويخفف بعضهم على بعض ما أصابهم من مغارم الحرب وتبعات الجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا ، نفهم ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم : « وأن المؤمنين يبىء بعضهم على بعض بما نال دماءهم فى سبيل الله » .

٥ ــ اقرار المساواة بين المسلمين وتكافؤهم فى المكانة والكرامة والحقوق السياسية ، يتضح ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم : « وأن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم ، وأن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس » ومهما قال القائلون من أصحاب النظريات والنظم المتشدقين بالمساواة والعدالة ، فلن يصلوا الى أدنى ما يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم : « ويجير عليهم أدناهم » فأقل المسلمين مالا أو جاها أو قوة كأكبر المسلمين مالا وجاها وقوة يجير عليه فلا يرد اجارته .

٦ ــ التأكيد على أن الأمة الاسلامية أمة تدعو الى الحق وتعمل به

---

(١) الانفال : ٥٥

أبـدا وأنها أمة مطالبة بأن تزيل من طريق الحق كل عائق يعترضه ، وهذه العوائق وتلك الاعتراضات قد تكون أشخاصا وقـد تكون مبـادىء ونظريات ، وقد تكون ، وقد تكون ، والأمة المسلمة مطالبة أبدا بـأن تكون أبـدا مع الحق وضـد الباطل ولو تمثل هذا الباطل فى واحـد منهم ، يتضح ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم : « وأن المؤمنين المتقين أيديهم على كل من بغى عليهم أو ابتغى دسيعة ظلم أو اثما أو عـدوانا فسادا بين المؤمنين ، وأن أيديهم عليه جميعا ولو كان ولد أحدهم » .

وبعد .. فتلك هى وثيقة المؤاخاة بين المسلمين وهى من أوائل أعمال الرسـول صلى الله عليه وسلم بعد أن استقر فى المدينة ، وليست هذه الأولية الا دليلا على أن الأخوة فى الدين ضرورة من ضرورات الايمان وضرورة من ضرورات العمل فى الدعوة الى الله سبحانه والتحرك بدينه فى الناس .

وأن الأحاديث النبوية الواردة فى الأخوة فى الدين كثيرة نقتصر منها على الأحاديث التالية :

روى البخارى بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله اخوانا ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال »[1]

وروى البخارى بسنده عن عروة أن النبى صلى الله عليه وسـلم خطب عائشة الى أبى بكر فقال : انما أنا أخوك ، فقال صلى الله عليه وسلم: « أنت أخى فى دين الله وفى كتابه ، وهى لى حلال »[2] .

وروى البخارى بسنده عن سالم أن عبد الله بن عمر أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة

---

(١) صحيح البخارى جـ ٧ ص ٥٧ ، ٨٣ ، صحيح مسـلم جـ ٤ ص ١٩٨٦ ، ٢٥٦٤

(٢) صحيح البخارى جـ ٧ ص ٧

فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة »[1] .

وروى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله ، كل المسلم على المسلم حرام : عرضه وماله ودمه ، التقوى ههنا ، بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم »[2] .

وروى ابن ماجه بسنده عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « للمسلم على المسلم ستة بالمعروف : يسلم عليه اذا لقيه ، ويجيبه اذا دعاه ، ويشمته اذا عطس ، ويعوده اذا مرض ، ويتبع جنازته اذا مات ، ويحب له ما يحب لنفسه »[3] .

وروى البخارى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » قال : يا رسول الله ، هذا ننصره مظلوما ، فكيف ننصره ظالما ، قال : « تأخذ فوق يديه »[4] .

ولو ذهبنا نستقصى الأحاديث الواردة فى الأخوة فى الدين لما وسعتنا هذه الصفحات .

غير أن الذى نحب أن نؤكده أن هذه الأخوة فى الدين وما تستوجبه من حقوق للأخ على أخيه ، مما تميز به الاسلام على غيره من الأديان ومن النظم والنظريات حتى ان بعض العلماء يرون أن هذه المؤاخاة مما خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم دون سائر الرسل عليهم السلام .

---

(١) صحيح البخارى جـ ٣ ص ١٦٨ ، ٢٤٤٢

(٢) رواه الترمذى جـ ٥ ص ٣٣

(٣) سنن ابن ماجه جـ ١ ص ٤٦١

(٤) صحيح البخارى جـ ٣ ص ١٦٨ ، ٢٤٤٣

وما قرأنا ولا سمعنا عن تآخ على نفس مستوى الأخوة التى طالب بها الاسلام أتباعه ــ من لدن زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والى يوم يقوم الناس لرب العالمين ــ بين المؤمنين بدين من الأديان المعروفة التى سبقت ظهور الاســـلام ، فلم يحدثنا القرآن الكريم عن تآخ بين اليهود ولا تآخ بين النصارى ، على نفس المستوى الذى أشرنا اليه ، ولا رأينا نحن ذلك فى توراتهم أو انجيلهم التى بأيديهم اليوم ، على الرغم من التشويهات والتحريفات والتغييرات التى أدخلت عليهما .

وكذلك الأمر فى النظم والنظريات القديمة منها والحديث ، بل رأينا فى تلك النظم والنظريات والمذاهب ما يقضى على هذه الأخوة من تسلط للحاكم على المحكوم ، وظلم من الكبير للصـــغير ، واســـتعباد من الغنى للفقير ، وليست الطبقية والعنصرية وتفاضل الناس بالجنس واللون والمال والجاه ــ كما رأينا ذلك فى الأديان الأخرى وفى النظم والنظريات ــ الا نارا تحرق حبال الأخوة بين النـــاس ، وتثير فى النفوس الأحقاد والتعادى والتباغض والتدابر [1] .

* * *

(١) انظر : مع العقيدة والحركة والمنهج فى : خير أمة اخرجت للناس ــ على عبد الحليم محمود ص ٦٩ ــ ٧٦

المبحث الثانى

مجال الحث على التسامح والتمسك بالفضائل

ان الاسلام دين يدعو الى التسامح ، والعفو والصفح عند المقدرة • وان من يتسامح فى حقه ويعفو ويصفح عن المسىء اليه يكون نبيل الخلق، عظيم النفس ، متساميا عن الدنايا • انظر الى قوله جل شأنه :

﴿ ادفع بالتى هى أحسن السيئة ، نحن أعلم بما يصفون ﴾(١) •

وقوله تعالى : **﴿ ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم • وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم ﴾(٢) •**

فالاسلام يقول : ان أساء اليك رجل فاعف عنه واصفح ، وقابل السيئة بالحسنة • وان ذمك أحد فامدحه ولا تذمه ، وبذلك يصير كأنه صديق قريب اليك ، معتن بأمرك ، مهتم بشأنك • ولا تتاح هذه الخلة الثمينة ولا يعمل بها الا من اتصف بالصبر وقوة العزيمة وثبات القلب ، وكان له نصيب موفور من سعادة الحظ ، وكرم الخلق • فنحن مطالبون بأن تقابل الاساءة بالاحسان ، والذنب بالصفح والغفران ، والغضب بالحلم(٣) •

وتتفاوت درجات الناس فى الثبات أمام المثيرات ، فمنهم من تستخفه النوافه فيستحمق على عجل ، ومنهم من تستفزه الشدائد فيبقى على وقعها الأليم محتفظا برجاحة فكره وسجاحة خلقه •

---

(١) المؤمنون : ٩٦ (٢) فصلت : ٣٤ ، ٣٥
(٣) انظر : روح الاسلام ـ محمد عطية الابراشى ص ١٢٣

ومع أن للطباع الأصيلة فى النفس دخلا كبيرا فى أنصبة النـاس من الحدة والهدوء ، والعجلة والأناة ، والكدر والنقاء ، الا أن هنـاك ارتباطا مؤكدا بين ثقة المرء بنفسه وبين أناته مع الآخرين وتجاوزه عن خطئهم ، فالرجل العظيم حقا كلما حلق فى آفاق الكمال اتسع صدره ، وامتد حلمه ، وعذر الناس من أنفسهم ، والتمس المبررات لأغلاطهم ، فاذا عـدا عليه غر يريد تجريحه ، نظر اليه من قمته كما ينظر الفيلسوف الى صبيان يعبثون فى الطريق وقد يرمونه بالأحجار .

وقد رأينا الغضب يشتط بأصحابه الى حد الجنون ، عندما تقتحم عليهم نفوسهم ، ويرون أنهم حقروا تحقيرا لا يعالجه الا سفك الدم . أفلو كان الشخص يعيش وراء أسوار عالية من فضائل يحس بوخز الألم على هذا النحو الشديد ؟ كلا . ان الاهانات تسقط على قاذفها قبل أن تصل الى مرماها البعيد .

وهذا المعنى يفسر لنـا حلم هود وهو يستمع الى اجابة قومه بعـد ما دعاهم الى توحيد الله :

قالوا : ﴿ **انـا لنراك فى سـفاهة وانـا لنظنك من الكـاذبين . قـال يا قوم ليس بى سـفاهة ولكنى رسول من رب العـالمين . أبلغكم رسـالات ربى وانـا لكم ناصح أمين** ﴾(١) .

ان شتائم هؤلاء الجهال لم يطش لها حلم هود ، لأن الشقة بعيدة بين رجل اصطفاه الله رسـولا فهو فى الذؤابة من الخير والبر ، وبين قوم سـفهوا أنفسـهم وتهاووا على عبادة الأحجار يحسـبونها ـ لغبائهم ـ تضر وتنفع !

كيف يضيق المعلم الكبير بهرف هذه القطعان ؟

وقد أراد رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم أن يعلم أصحابه هذا الدرس فى الأناة وضبط النفس ، فروى أن أعرابيا جاء يطلب منه شيئا ،

---

(١) الأعراف : ٦٦ ـ ٦٨

فأعطاه ثم قال له : « أحسنت اليك » ؟ قال الأعرابى : لا ، ولا أجملت ، فغضب المسلمون وقاموا اليه ، فأشار اليهم أن كفوا .. ثم قام ودخل منزله ، فأرسل اليه وزاده شيئا ، ثم قال له : « أحسنت اليك » ؟؟ قال : نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : « انك قلت ما قلت آنفا ، وفى نفس أصحابى من ذلك شىء ، فان أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدى حتى يذهب ما فى صدورهم عليك » !! قال : نعم ، فلما كان الغد جاء ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « ان هذا الأعرابى قال ما قال فزدناه ، فزعم أنه رضى ، أكذلك »؟ قال : نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثلى ومثل هذا كمثل رجل له ناقة شردت عليه فأتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا . فناداهم صاحبها ، فقال لهم : خلوا بينى وبين ناقتى . فانى أرفق بها منكم وأعلم . فتوجه لها بين يديها فأخذ من قمام الأرض ، فردها حتى جاءت ! واستناخت وشد عليها رحلها ، واستوى عليها . وانى لو تركتكم حيث قال الرجل ما قاله ، فقتلتموه ، دخل النار » .

ان الرسول الحليم لم تأخذه الدهشة لكنود الأعرابى أول الأمر ، وعرف فيه طبيعة صنف من الناس مرد على الجفوة فى التعبير والاسراع بالشر ، وأمثال هؤلاء لو عوجلوا بالعقوبة لقضت عليهم ، ولما كانت ظلما .

لكن المصلحين العظماء لا ينتهون بمصاير العامة الى هذا الختام الأليم ، انهم يفيضون من أناتهم على ذوى النزق حتى يلجئوهم الى الخير الجاء . ويطلقوا ألسنتهم تلهج بالثناء .

وثمن ذلك لا يضن به الواحد الأريب ، ولو كان عطاء سخيا ، فما بذل المال الى جانب ملك الأنفس ؟

ان الأعرابى الذى اشترى رضاه بما علمت لا يبعد أن تراه بعد أيام وقد كلف بعمل خطير ، يقدم فيه عنقه عن طيب خاطر .. وما المال

فى أيدى المصـــلحين الكبراء الا حاجة العفـــاة من الوافدين الطامعين ، أو هو قمام الأرض تستناخ به ارواحل الجامحة • لتقطع عليها المفازات الشـــاسعة •

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يستغضب أحيانا غير أنه ما يجاوز حدود التكرم والاغضاء • والمحفوظ من سيرته أنه ما انتقم لنفسه قط ، الا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها • ولمـــا قال له أعرابى جلف وهو يقسم الغنـــائم : اعدل ، فان هذه قسمة ما أريد بها وجه الله ، لم يزد فى جوابه على أن بين له ما جهله ، ووعظ نفسه وذكرها بما قال له فقال : « ويحك •• فمن يعدل إن لم أعدل ؟ خبت وخسرت ان لم أعدل » • ونهى أصحابه أن يقتلوه حين هم بعضهم بذلك •

خطب النبى صلى الله عليه وسلم فى الناس عصر يوم من الأيام فكان مما قاله لهم : « ان بنى آدم خلقوا على طبقات شتى :

« ألا وان منهـــم البطىء الغضب سريع الفىء • والسريع الغضب سريع الفىء ، والبطىء الغضب بطىء الفىء ، فتلك بتلك • ألا وان منهم بطىء الفىء سريع الغضب •

« ألا وخيرهم بطىء الغضب سريع الفىء ، وشرهم سريع الغضب بطىء الفىء ، ألا وإن منهم حسن القضاء ، فتلك بتلك •

« ألا وان منهم سىء القضاء سىء الطلب • ألا وخيرهم الحسـن القضاء الحسن الطلب ، وشرهم سىء القضاء سىء الطلب •

« ألا وان الغضب جمرة فى قلب ابن آدم ، أما رأيتم الى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه ، فمن أحس بشىء من ذلك فليلصق بالأرض » [1] •

أى فليبق مكانه وليجلس •

فاذا استطير وراء لهب الغيظ أفسد الأمور فى غيبة وعيه وغلبة عاطفته فلم يدع لاصلاحها مكانا •

---

(١) مسند الامام أحمد بن حنبل جـ ٣ ص ١٩

وقد شرح الحديث الشريف صنوف الخلق ومنازلهم فى الفضل ، والمؤمن يضع نفسه حيث يجب .

ان الشخص الغضوب كثيرا ما يذهب به غضبه مذاهب حمقاء ، فقد يسب البـاب اذا استعصى عليه فتحه ، وقد يكسر آلة تضطرب فى يده ، وقد يلعن دابة جمحت بـه .

وحدث أن رجلا نازعته الريح رداءه فلعنها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تلعنها فانها مأمورة مسخرة . وانه من لعن شـيئا ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه »[1] .

وسيئات الغضب كثيرة ونتائجه الوخيمة أكثر ، ولذلك كان ضبط النفس عند سوراته دليل قدرة محمودة وتماسك كريم .

عن ابن مسعود : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما تعدون الصرعة فيكم »؟قالوا : الذى لا تصرعه الرجال.قال:« ولكنه الذى يملك نفسه عند الغضب »[2] .

وقال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم : أوصنى ولا تكثر على لعلى لا أنسى . قال : « لا تغضب »[3] وهذه الاجابة المقتضبة خير ما يرد به على سؤال يصاغ فى هـذه العبارة .

وقد كان صلى الله عليه وسـلم ينصح من جاءوه مسترشدين بما يلائم طباعهم ويوافق بيئتهم ، وقد يوجز أو يطنب وفق ما تقضى بـه الأحوال .

والجاهلية التى عالج رسول الله صلى الله عليه وسلم محوها كانت تقوم على ضربين من الجهالة ، جهالة ضد العلم وأخرى ضد الحـلم ، فأما الأولى فتقطيع ظلامها يتم بأنواع المعرفة وفنون الارشاد ، وأما الأخرى

---

(١) انظر : سنن ابو داود جـ ٥ ص ٢١٢ ، ٤٩٠٨
(٢) مسند الامام أحمد جـ ١ ص ٣٨٢
(٣) صحيح البخارى جـ ٧ ص ٧٦ ، ٩٤

فكف ظلمها يعتمد على كبح الهوى ومنع الفساد • وقـد كان العرب الأولون يفخرون بأنهم يلقون الجهل بجهل أشد :

ألا لا يجهلن أحـد علينـا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

فجاء الاسلام يكفكف من هذا النزوان ويقيم أركان المجتمع على الفضـل ، فان تعذر فالعدل • ولن تتحقق هـذه الغاية الا اذا هيمن العقل الراشد على غريزة الغضب •

وكثير من النصائح التى أسداها الرسول صلى الله عليه وسلم للعرب كانت تتجه الى هذا الهدف حتى اعتبرت مظاهر الطيش والتعدى انفلاتا من الاسـلام ، وانطلاقا من القيود التى ربط بهـا الجماعة فلا تميد وتضطرب : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر »[1] •

وقال عبد الله بن مسعود : « ما من مسلمين الا وبينهما ستر من الله عز وجل ؛ فاذا قال أحدهما لصاحبه كلمة هجر خرق ستر الله »[2]

ووفد أعربى على رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يتعلم الاسلام، ولم تكن له معرفة سابقة بالنبى صلى الله عليه وسلم • ولا بما يدعو اليه قال الأعرابى ـ واسمه جابر بن سليم ـ : رأيت رجلا يصدر الناس عن رأيه ، لا يقول شيئا الا صدروا عنه ، قلت : من هـذا ؟ قالوا : رسول الله • قلت : عليك السلام يارسول الله • قال : « لا تقل عليك السلام ، عليك السلام تحية الميت • قل : السلام عليك » ! قال : قلت : أنت رسول الله ؟ قال : « أنا رسول الله الذى اذا أصابك ضر فدعوته كشفه عنك • وان أصابك عام سنة (جدب) فدعوته أنبتها لك ، واذا كنت بأرض قفر فضلت راحلتك فدعوته ردها عليك » •

قال : قلت : أعهد الى • قال: «لا تسبن أحدا» ـ فما سببت بعده حرا ولا عبدا ولا بعيرا ولا شاة ـ قال : « ولا تحقرن شيئا من المعروف •

---

(١) صحيح مسلم جـ ١ ص ٨١ ، ٨٤
(٢) السنن الكبرى ـ البيهقى جـ ٧ ص ٩٩

وأن تكلم أخاك وأنت منبسط اليه وجهك ، ان ذلك من المعروف » .. ثم قال : « وان امروء شتمك وعيرك بما يعلم فيك ، فلا تعيره بما تعلم فيه . فانما وبال ذلك عليه »[1] .

ومن الناس من لا يسكت عنه الغضب ، فهو فى ثورة دائمة ، وتغيظ يطبع على وجهه العبوس . اذا مسه أحد ارتعش كالمحموم ، وأنشأ يرغى ويزبد ويلعن ويطعن . والاسلام برىء من هذه الخلال الكدرة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس المؤمن بطعان ولا لعان ولا فاحش ولا بذىء »[2] .

واللعن من خصال السفلة ، والذين يستنزلون اللعنات على غيرهم لأتفه الأسباب يتعرضون لبلاء جسيم ، بل ان المرء يجب أن يتنزه عن لعن غيره ، ولو أصابه منه الأذى الشديد .

وكلما ربا الايمان فى القلب ربت معه السماحة وازداد الحلم ، ونفر المرء من طلب الهلاك والغضب للمخطئين فى حقه .

قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ادع الله على المشركين والعنهم : فقال : « انما بعثت رحمة ولم أبعث لعانا »[3] وعلى قدر ما يضبط المسلم نفسه ، ويكظم غيظه ، ويملك قوله ، ويتجاوز عن الهفوات ، ويرثى للعثرات ، تكون منزلته عند الله .

ومن ثم استنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى بكر أن يلعن بعض رقيقه وقال : « لا ينبغى لصديق أن يكون لعانا »[4] .

وفى رواية : « لا يجتمع أن تكونوا لعانين وصديقين »[5] فأعتق أبو بكر أولئك الرقيق كفارة عما بدر منه لهم ، وجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم يقول له : لا أعود !

---

(١) صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢٠٢٦ ، ٢٦٢٦
(٢) الترمذى جـ ٦ ص ١٩٩ ، ١٩٧٨
(٣) مسند الامام أحمد بن حنبل جـ ٥ ص ٤٣٧
(٤) صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢٠٠٥ ، ٢٥٩٧
(٥) المستدرك على الصحيحين ـ الحاكم جـ ١ ص ٤٧

ذلك أن اللعن قذيفة طائشة خطرة ، يدفع اليها الغضب الأعمى أكثر مما يدفع اليها استحقاق العقاب ، واستهانة الناس بهذه الدعوات الشداد لا تليق • لأنه لا يفلت من وبالها أحد •

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان العبد اذا لعن شيئا صعدت اللعنة الى السماء ، فتغلق أبواب السماء دونها • ثم تهبط الأرض فتغلق أبوابها • ثم تأخذ يمينا وشمالا • فان لم تجد مساغا رجعت الى الذى لعن ، فاذا كان أهلا ••• والا رجعت الى قائلها »[1] •

وقد حرم الاسلام المهاترات السفيهة وتبادل السباب بين المتخاصمين•

وكم من معارك تبتذل فيها الأعراض وتعدو فيها الشتائم المحرمة على الحرمات العزيزة ، وليس لهذه الآثام الغليظة من علة الا تسلط الغضب وضياع الأدب • وأوزار هذه المعارك الوضيعة تعود على الموقد الأول لجمرتها • كما جاء فى الحديث : « المستبان ما قالا ، فعلى البادىء منهما حتى يعتدى المظلوم »[2] •

وملاك النجاة من هذه المنازعات الحادة تغليب الحلم على الغضب ، وتغليب العفو على العقاب • ولا شك أن الانسان يحزنه أى تهجم على شخصه أو على من يحب ، واذا واتته أسباب الثأر سارع الى مجازاة السيئة بمثلها • ولا يقر له قرار الا اذا أدخل من الضيق على غريمة بقدر ما شعر به هو نفسه من ألم •

ولكن هناك مسلكا أنبل من ذلك وأرضى لله • وأدل على العظمة والمروءة • أن يبتلع غضبه فلا يتفجر ، وأن يقبض يده فلا يقتص ، وأن يجعل عفوه عن المسىء نوعا من شكر الله الذى أقدره على أن يأخذ بحقه اذا شاء • عن ابن عباس قال : لما قدم عيينة بن حصن نزل على ابن أخيه الحر بن قيس وكان من النفر الذين

---

(١) ابو داود جـ ٥ ص ٢١٠ ، ٤٩٠٥
(٢) صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢٠٠٠ ، ٢٥٨٧

يدنيهم عمر ، اذ كان القراء أصحاب مجلس أمير المؤمنين عمر ومشاورته • كهولا كانوا أو شبانا •

فقال عيينة : يابن أخى ، استأذن لى على أمير المؤمنين ، فاستأذن له فلما دخل قال : هيه يابن الخطاب ، فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل ، فغضب عمر حتى هم أن يوقع به •

فقال الحر : يا أمير المؤمنين ، ان الله يقول لنبيه : ﴿ **خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين** ﴾ وان هذا من الجاهلين ، فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه • وكان وقافا عند كتاب الله »[1] •

وانما غضب عمر لتطاول الأعرابى عليه وهم بردعه • لأنه لم يدخل عليه ناصحا بخير أو طالبا لحق ، وانما دخل على حاكم فى سلطانه ليشتمه دون مبرر وليسأله عطاء جزلا على غير عمل !! فلما ذكر بأن الرجل من الجهال أعرض عنه وتركه ينصرف سالما •

وفى الحديث : « من كظم غيظا وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره فى أى الحور شاء »[2] •

وعن عبادة بن الصامت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بما يشرف الله به البنيان ويرفع الدرجات » ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : « تحلم على من جهل عليك ، وتعفو عمن ظلمك ، وتعطى من حرمك ، وتصل من قطعك »[3] •

وقد عد القرآن الكريم هذه الشمائل الرقيقة طريق الفلاح التى تسرع بصاحبها الى الجنات العلا :

﴿ **وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض اعدت للمتقين • الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين** ﴾[4] •

(١) صحيح البخارى ـ والآية من سورة الأعراف : ١٩٩
(٢) ابو داود جـ ٥ ص ١٣٧ ، ٤٧٧٧
(٣) مسند احمد بن حنبل جـ ٣ ص ٢٢٥
(٤) آل عمران : ١٣٣ ، ١٣٤

ومن قصص العفو التى لا مثيل لها بين الناس ، عفو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زعيم المنافقين عبد الله بن أبى • فان عبد الله هـذا كان عدوا لدودا للمسلمين يتربص بهم الدوائر ، ويحالف عليهم الشيطان ، ويحيك لهم المؤمرات ولا يجد فرصـة للطعن عليهم والنيـل من نبيهم الا انتهزها • وهو الذى أشاع قالة السوء على أم المؤمنين عائشـة ، وجعل المرجفين يتهامسون بالافك حولها ، ويهزون أركان المجتمع الاسلامى هزا بهذا الاتهام الدنىء ، وتقاليد الشرق من قديم تجعل عرض المرأة فى الذروة من القداسـة ، وتربط به كرامتها وكرامة أهلها الأبعدين والأقربين •

وكذلك كان حز الألم قاسيا فى نفس الرسول وأصحابه ، وكانت الغضاضة من هذا التلفيق الجرىء تملأ نفوسهم كآبة وغما • حتى نزلت الآيات آخر الأمر تكشف مكر المنافقين ، وتفضح ما اجترحوا ، وتنوه بطهر أم المؤمنين ونقاء صفحتها :

﴿ ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم ، لا تحسبوه شرا لكم ، بل هو خير لكم ، لكل امرىء منهم ما اكتسب من الاثم ، والذى تولى كبره منهم له عـذاب عظيم ﴾(١) •

ولقد أقيم الحد على من كانوا مخالب القط فى هذه المـأساة ، أما جرثومة الشر فانه نجا ••• ليستأنف كيده للمسلمين وسوق الأذى لهم ما استطاع •

وكتب الله الفوز لرسوله وجنده واكتسح الاسلام مخلفات القرون المخرقة ، وانحصر أعداؤه فى حدود أنفسهم ، بل لقد دخلت عليهم من أقطارها وانكمش ابن أبى ثم مرض ومات • بعد ما ملأت رائحة نفاقه كل فج • وجاء ولده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب منه الصفح عن أبيه فصفح • ثم طلب منه أن يكفن فى قميصه فمنحه اياه • ثم طلب

---

(١) النـور : ١١

منه أن يصلى عليه ويستغفر له ، فلم يرد له الرسول الرقيق العفو هـذا السؤال ، بل وقف أمام جثمان الطاعن فى عرضه بالأمس يستدر له المغفرة.

لكن العـدالة العليـا حسمت الأمر كـله فنزل قوله تعـالى :

﴿ استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ، ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله ، والله لا يهدى القوم الفاسقين ﴾(١).

ومما يتصل بحادثة الافك : أن قريبا لأبى بكر كان يعيش على احسانه لم يتورع عن الخبط فى عرض السيدة التى يكفله أبوها ، فنسى بذلك حق الاسلام وحق القرابة وحق الصنيع القديم . مما أحفظ أبا بكر وجعله يحلف أن يترك قريبه هـذا ، ولا يصله كما كان يصله .

فنزل قوله تعالى : **﴿ ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله ، وليعفوا وليصفحوا ، الا تحبون ان يغفر الله لكم ، والله غفور رحيم ﴾(٢)** .

فعاد أبو بكر بعطائه الأول قائلا : انى أحب أن يغفر الله لى(٣) .

* * *

(١) التوبة : ٨٠ (٢) النـور : ٢٢
(٣) انظر : خلق المسلم ـ محمد الغزالى ، ص ١٠٦ ـ ١١٤

المبحث الثالث

الحث على التخلى عن الرذائل

يبحث علم الأخلاق عن معنى الخـير والشر ، ويبين ما ينبغى أن تكون عليه معاملة الناس مع بعضهم بعضا ، ويشرح الغاية التى ينبغى أن يقصدوا اليها فى أعمالهم وينير السبيل لعمل ما ينبغى .

ولا شك أن الأخلاق هى الدعامة الأولى لحفظ كيان الأمم ، ولهذا نرى الباحثين قد اتفقت كلمتهم على ضرورتها للفرد لصالح نفسه ، وللمجتمع فى جملته ، فكما أن الفرد يضيره ويفسد من أعماله أن يكون كاذبا مرائيا حسودا شريرا ماكرا ، كذلك تفسد المجتمعات بشيوع هـذه الصفات فى آحادها .

من أجل ذلك كانت رسالة الأنبياء الحث على الأخلاق الفاضلة ، وجاء القرآن مشددا على الاستمساك بها ، لأنها هى التى تحقق الفوز بالنعيم الأخروى . وان الفضائل التى أمر بها القرآن هى الفضائل الانسانية الحقة التى أجمع الفلاسفة ودعاة الاصلاح فى العالم على المناداة بها ، والتى لو عمل بها الناس لحصلوا على أعظم الخير لعالمهم المضطرب .

والرذائل التى نهى عنها القرآن هى سبب الخصام والعداوة بين الناس وهى التى لا يشك فى ضررها أى مخلص يبتغى الخير للانسانية .

١ ـ الانقيـاد لهوى النفس :

تجتاح الانسان فى معترك هذه الحياة تيارات شتى من الرغبـات والشهوات يؤثر فيهـا مصلحته الخاصة ولو كان فيهـا اضرار بالغير ، ولا يهمه أن تكون أعماله سـيئة ما دامت تشبع رغباته وأهواءه .

وان أهم أهداف الاسلام مجابهة أهواء الانسان والحيلولة بينه وبين الانقياد لها ، اذ أن هوى النفس يشوش نظام ميول الانسان الطبيعية ، وان للميول فى الحالة الطبيعية نظاما خاصا ، وترتيبا متسقا يقتضيان الاعتدال والتوازن ، ولكن اذا وقع الانسان فى حبال الهوى تشوش عليه هذا النظام الطبيعى وفسد ، واتجهت قواه الى غاية واحدة مطلقة فيختل بذلك توازن الميول واتساقها الطبيعى وينفرد واحد من هذه الميول بالزعامة فيسخر جميع النزعات الأخرى اليه ، ولهذا نرى القرآن وصف الهوى بأنه مفسد للنظام الطبيعى لهذه الحياة الذى يجب أن يسود فيه الحق . قال الله تعالى :

﴿ ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن ﴾(١) .

وان أعظم أضرار هوى النفس هو ما يجىء عن طريق الحكام الذين من واجبهم اقامة العدل فى الأرض ، فانهم ان انقادوا لأهوائهم فحابوا الأقوياء وجاروا على الضعفاء يكن من أثر ذلك فساد فى الأرض لا يلبث أن تظهر بوادره بثورات تورث الخراب كما حصل فى كثير من أدوار التاريخ ، ولهذا جاء فى القرآن تعليما لنا بما خاطب الله نبيه داود :

﴿ يا داود انا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾(٢) .

وان اتباع هوى النفس يصرفنا عن حقائق هذه الحياة ، ويرى أبو الفلسفة الحديثة « فرنسيس بيكون » وهو من فلاسفة القرن السادس عشر أنه للوصول للحق يجب التخلص من أربعة أوهام تسد علينا سبل الحقيقة ومنها ــ بل وأهمها ــ أوهام الجنس ، هذه الأوهام تدخل فيها الأخطاء التى انطبع عليها العقل تقليدا لمن تقدموه حتى ليهون على المرء أن يعادى الحق ويرفضه من أن يترك عقيدة أو رأيا رسخ فى

---

(١) المؤمنون : ٧١ (٢) سورة ص : ٢٦

ذهنه بفعل الزمن والوراثة • لهذا نرى القرآن عندما حاجج اليهود وأمرهم باتباع رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء بها من الحق ، بين بأن عدم استجابتهم لدعوة الاسلام انما هى بسبب أهواء نفوسهم التى تؤثر القديم ولما انطبعوا عليه من التقليد الأعمى لمن سبقوهم •

قال الله تعالى : ﴿ **فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ، ان الله لا يهدى القوم الظالمين** ﴾(١) •

والحق أن أكثر أسباب اتباع الهوى فى هذه الحياة هو بسبب ضعف فى النفس ونقص فى المعرفة ، فالهوى يملك على الانسان عقله فلا يدرك ولا يتذكر ولا يفكر كغيره من الناس بل تحوم نفسه كلها حول نقطة واحدة • وحب الانسان للشىء يقوى انتباهه اليه فلا يفكر الا فيه ، ولهذا كان منطق الهوى مختلفا جدا عن منطق العقل ، فالمقدمات فى منطق العقل تولد النتائج ، ولكنها فى منطق العواطف تتولد منها • ولهذا وصف القرآن أثر الهوى فى الانسان بأنه يضله بغير علم • قال الله تعالى :

﴿ **وان كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم** ﴾(٢) •

﴿ **بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم** ﴾(٣) •

والقرآن يصف العلاج للقضاء على هوى النفس وذلك بالتوجه الكلى الى الله والامتناع عن مخالفة أمره • قال الله تعالى :

﴿ **واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى • فان الجنة هى المأوى** ﴾(٤) •

هذه المراقبة لله مع جهاد النفس كفيلة بأن لا نخرج عن طريق الحق ولا نرتاد سبل الضلال ، وخصوصا اذا كان هذا الجهاد النفسى فى جو دينى تدفعه الرغبة فى نيل ثواب الله العظيم •

* * *

---

(١) القصص : ٥٠
(٢) الأنعام : ١١٩
(٣) الروم : ٢٩
(٤) النازعات : ٤٠ ، ٤١

٢ ـ الكبرياء :

الكبرياء رذيلة من الرذائل الاجتماعية ، تغرس الفرقة والعداوة بين الأفراد فتقضى على التعاون والمحبة بينهم .

والكبرياء لا تصرفنا عن محبة بعضنا البعض فقط ، بل وتجعل اصلاحنا الأدبى عسيرا وذلك بتعامى المتكبر عن نقائصه وعيوبه ، وتقدير نفسه فوق قدرها ، وصم أذنيه عن سماع كل حديث يرفع من حاله سوى حديث المدح والتملق من مادحيه ، لأن من أعجبته نفسه أبى أن يسمع النصحية من غيره فيكون ذلك حائلا بينه وبين الاستفادة من علم العلماء واقتباس الفضيلة من الفضلاء فينزل الى هوة من الجهل والضلال .

لهذا كان من سنة الله أن صرف قلوب المتكبرين عن سماع ما أنزله على رسله من البينات والهدى لأن هؤلاء المتكبرين كتب الله عليهم الضلالة التى تؤدى بهم الى غضبه وذلك من جراء كبريائهم . قال تعالى :

﴿ سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ﴾(١) .

والقرآن يخبرنا أن المستكبرين كانوا أعصى الناس على الاستجابة لدعوة الرسل لهذا حكى الله عن قوم نبيه صالح :

﴿ قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم اتعلمون أن صالحا مرسل من ربه ، قالوا انا بما أرسل به مؤمنون . قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم به كافرون ﴾(٢) .

وهؤلاء قوم عاد استكبروا عن سماع هداية الله فكان جزاؤهم العذاب الأليم فى الدنيا والآخرة : **﴿ فاما عاد فاستكبروا فى الأرض بغير**

---

(١) الأعراف : ١٤٦ (٢) الأعراف : ٧٥ ، ٧٦

الحق وقالوا من أشد منا قوة ، أو لم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة ، وكانوا بآياتنا يجحدون . فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ، ولعذاب الآخرة أخزى ، وهم لا ينصرون ﴾(١) .

﴿ أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين ﴾(٢) .

أى أليست النار كافية لهم سجنا وموئلا بسبب تكبرهم !

ولنتساءل بماذا يفتخر المتكبر ؟ هل بملاحته وقوته ؟ ان الجمال يزول ، وأقل مرض يضعضعه ، وكل يوم يفعل الزمان فعله بجسده الى أن يصبح بعد سن الشباب موضع الضعف والهرم ، وإن تباهى بماله وغناه فليعلمن أن الموت لا يفرق بين الغنى والفقير ، وأن الانسان سيترك كل ما يملك الى غيره . لهذا جاءت وصايا القرآن تنهى عن الاختيال ، قال تعالى :

﴿ ولا تمش فى الأرض مرحا ، انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا ﴾(٣) .

أى لا تمش متبخترا كمشى الجبارين فانك لن تخرق الأرض بمشيك وشدة وطئك ، ومهما شمخت بأنفك فلن تبلغ الجبال ارتفاعا .

ويقول تعالى فى النهى عن التكبر : **﴿ ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا ، ان الله لا يحب كل مختال فخور ﴾(٤) .**

أى لا تعرض عنهم بوجهك اذا كلمتهم أو كلموك احتقارا لهم واستكبارا . هذا هو التكبر الذى كرهه الله لأنه من الصفات الذميمة التى تفسد المجتمع الانسانى ، وتورث البغضاء ، فما أحرى بالمربين والمصلحين أن يحاربوه ويبينوا شروره ليحصل المجتمع على المحبة التى هى عماد المجتمع .

* * *

(١) فصلت : ١٥ ، ١٦ (٢) الزمر : ٦٠
(٣) الاسراء : ٣٧ (٤) لقمان : ١٨

٣ ـ الخمـر والقمـار :

قال الله تعالى فى تحريم الخمر والقمار :

﴿ يا ايهـا الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العـداوة والبغضاء فى الخمـر والميسر ويصـدكم عن ذكر الله وعن الصـلاة ، فهل أنتم منتهون ﴾(١) .

اشتملت هاتان الآيتان على مواعظ جليلة :

فقد سمى الله الخمر والقمار رجسا من عمل الشيطان ، والرجس يدل على منتهى ما يكون من القبـح والخبث ، وذلك لمـا ينشـأ عنهما من الشرور والفساد . وجعل الله اجتنابهما سببا للفلاح فى هذه الدنيا ، فدل بطريق المقابلة على أن ارتكابهما أساس الخسران فى الدنيـا والآخرة وجعلهما سبحانه مثارا للعداوة والبغضاء وهما شر المفاسد الدنيوية .

وأخيرا جعلهما صادين عن ذكر الله وعن الصلاة وهما عماد الدين ، وفيما يلى بيان عن ذلك مـع عرض أضرار كل من الخمر والقمار على حـدة :

● مضـار الخمـر :

مضار الخمر كثيرة لا تحصى : فهى تؤدى بالشارب الى اضـعاف صوت ضميره وذهاب حيائه ، ولا شىء يضر بالمجتمع الانسانى أكثر من اضعاف صوت الضمير أو ذهاب الحياء من الانسـان ، فان ذلك يدفع بالشارب الى نبذ الأخلاق وفعل كل منكر قبيح ، وان كثيرا من حوادث الزنا والخيانة الزوجية تقع تحت سلطان الخمر ممـا يؤدى الى خراب البيوت والندم العميق ، كما أن الواقع الملموس أثبت أن كثيرا من حوادث الشغب وما تؤدى اليه من ارتكاب الجرائم تحدث فى مواطن شرب الخمر من الحانات وغيرها .

---

(١) المـائدة : ٩٠ ، ٩١

وقد يدافع البعض عن الخمر فيقول : ان الآلام النفسية اشتدت والمحن قد كثرت ، ولا دواء لهـ الا الخمر •

والجواب على ذلك : ان المحن النفسية لا يقضى عليها بالخمر ، بل بتقوية الوجدان الخلقى وتربية الناس على ضبط النفس والصبر الجميل والعزاء الروحى ، أما اذا تألمت النفس فأخذ المتألم الكأس ليخفف الألم ويضعف صوت الضمير فانه يستبدل بألمه داء أشـد شرا ، وان ألمـه لا يلبث أن يعاوده بعد ذهاب أثر لخمر ، فيجعل الانسان ضعيفا لا يملك زمام نفسه ، مما يؤدى به الى الانهيار العصبى أو ادمان المسكرات فيسير فى الحياة سير من ينتحر ببطء فيفضى على نشاطه ومواهبه العقلية ، هذا فضلا عما ينشـأ عنه أيضـا من الضرر الصحى • وقد فصلنا ذلك فى بحث « صحة الأبدان » •

وأما الضرر الاجتماعى فالخمر سبب لوقوع العداوة والبغضاء بين الأصدقاء وغيرهم ، ذلك أن شارب الخمر يسكر فيفقد العقل الذى كان يمنعه من الأقوال والأعمال القبيحة فيسىء الى الناس ويسرع اليه الغضب بالباطل فيكون سببا للمشاجرة والخصام •

كما أن الخمر يصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، لأن السكران لا عقل له ولا وعى يذكر بـه ربه ويثنى على نعمه ويعبده ، والعبادة لا تقوم الا على العقل ، من هنـا كان الاسلام الذى حرم الخمر وشرع العقوبة للسكران أسمى من غيره من الأديان التى لم تحرم الخمر أو التى لم تشرع العقوبة لمن يتنـاول الخمر ، فالدين من أول واجباته دعوة الانسـان لعبادة خالقه ، وليس هناك عبادة لله اذا سكر الانسان ، فتحريم الخمر فى الاسلام مع بيان ضرره هى مفخرة له ، ودليل على أنه دين روحى يقوم تشريعه على ما يهذب النفس ويسمو بهـا عن شرور المـادة •

● **مضـار القمـار :**

أول ما يطالعنا من مضار القمار هو ما يحصل منه من الضرر المـالى

للمقامر ، وقـد فصلنا ذلك فى بحث « الاقتصاد » • وهنا نثبت ما ينشأ عنه من الضرر بين أفراد الأمة فهو مجلبة للعداوة ، فان ربح المقـامر لا يقـوم الا على خسران الغير ، فهو مغتصب مال أخيـه على مرأى منه ، وكلما أوغل الانسـان فى الخسـارة اشتد حنقه على الرابح الذى يسلبه ماله فى لحظات قليلة ، هذا المـال الذى بذل فى جمعه عصارة جهده وعقله ، وكثيرا ما يتمادى لاعب القمار فى الخسران حتى يفقد كل ماله فيؤدى به ذلك الى عدم السـيطرة على نفسـه فينتحر أو يتعرض للرابح بالشـتم ويضمر له كل شر ، وربما انتهى ذلك بالشجار كما هو مشاهد عند بعض المقامرين •

والقمار يصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، فالمقامر تتوجه جميع قواه العقلية الى اللعب الذى يرجو منه الربح ويخشى الخسارة ، ويستغرق فى ذلك زمنـا طويلا ينسيه خالقه ويلهيه عن عبادته ويشغله عن الصلاة التى تسـمو بروحه ، وليس هناك عمل من الأعمال يشغل الفكر ويصرفه عن كل ما سـواه مثل القمار ، لذلك كان هذا الاستنتاج الذى تطرق اليه القرآن آية فى دقة الوصف وصدق الواقع •

فتحريم القمار يعطينا برهانا على أن الاسلام دين روحى يحرم كل ما يضر الانسـان ويلهيه عن عبادة خالقه •

* * *

٤ ـ الكذب ومظاهـره :

الكذب أصل الرذائل ، به يتصـدع بنيـان المجتمع ، ويختـل سـير الأمور ، ويسقط صاحبه من عيون الناس فلا يصدقونه فى قول ، ولا يثقون بـه فى عمل ، وأكثر الناس فى الحياة أصحاب حرف ، وصاحب الحرفه محتاج فى بيعه وشرائه وعمله الى ثقة الناس به ، والكذب يهدم هذه الثقة ، لهـذا كتب الله على الكاذبين الضـلالة فقال سـبحانه :

﴿ ان الله لا يهـدى من هو مسرف كذاب ﴾(١) •

---

(١) غافر : ٢٨

وقال أيضا : ﴿ **ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار** ﴾(١) .

﴿ **ان الله لا يهدى من هو كذاب كفار** ﴾(١) .

وتوعد الله الكاذبين بالعذاب الأليم يوم القيامة :

﴿ **ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ، ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون . متاع قليل ولهم عذاب أليم** ﴾(٢) .

والكذب ليس بغيضا فى جميع الظروف على الاطلاق ، فهناك ظروف قد يكون فيها الكذب أجدى من الصدق وأنفع للانسانية وذلك للاصلاح بين الناس ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فينمى خيرا أو يقول خيرا »(٣) .

● **والخيانة :**

هى شر أنواع الكذب التى يتصف بها المرء وينتقل ضررها مباشرة الى سائر أفراد الأمة ، وما انتشرت هذه الصفة فى قوم الا كانت نذيرا للخراب والفوضى ، ولهذا نهى الله المؤمنين عن الخيانة :

﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون** ﴾(٤) .

وأخبر الله أنه يبغضهم : ﴿ **ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما** ﴾(٥) فعلى الذين ينشدون بناء مجتمع سليم أن يتوجه أكبر سعيهم الى محاربة هذه الرذيلة ليحصلوا على السلام فى حياتهم .

---

(١) الزمر : ٣ (٢) النحل : ١١٦ ، ١١٧

(٣) رواه البخارى ومسلم واللفظ لمسلم جـ ٤ ــ ص ٢٠١١ ، ٢٦٠٥

(٤) الأنفال : ٢٧ (٥) النساء : ١٠٧

● **خلف الوعـد :**

ومن ضروب الكذب المكروهة خلف الوعد وهى صفة تدل على أن صاحبها ذو شخصية ضعيفة لا يرجى منها خير ولا تكون موضع ثقة ، وهى تنزع المودة من بين الأفراد ، ويحصل منها كثير من الأضرار ، من تضييع وقت الغير سـدى ، أو ايجاد أمل كاذب عنده ، أو نحو ذلك . لهذا وصف الرسـول صلى الله عليه وسلم خلف الوعد بأنها من صفات المنافقين : « آية المنافق ثلاث : اذا حـدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا أؤتمن خان »(١) .

● **شـهادة الزور :**

وهى من أنواع الكذب التى يترتب عليها أقبح الشرور الاجتماعية وأخطر المشـاكل التى تودى بالأرواح وتؤدى الى ضـياع الحقـوق ونشر الفوضى ، لهذا فان الاسلام أنسها باثم الاشراك بالله الذى هو شر الآثام فى الاسـلام . قال الله تعالى : ﴿ **فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبـوا قول الزور** ﴾(٢) ووصـف الله عبـاده المقـربين بقـوله : ﴿ **والذين لا يشهدون الزور** ﴾(٣) .

● **البهتـان :**

وهو أيضا من ضروب الكذب الذى حرمه الاسـلام ، ويقصد به فى الغالب النيل من انسان فى شرفه وعمـله ، وهـو يسبب كثيرا من الأضرار والبلايا ولهذا حذر الله منه بقوله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين** ﴾(٤) .

ففى هذه الآية يرشـد الله المؤمنين ويحذرهم أن يأخذوا بالأخبار قبـل الكشف عنها والتثبت منها ومن سـيرة حاملها لئـلا يصـيبوا أقواما بسبب الجهل . فيصبحوا بعد ذلك آسفين نادمين .

---

(١) رواه البخارى ، مسند احمد ـ جـ ٢ ـ ص ٣٥٧
(٢) الحج : ٣٠ (٣) الفرقان : ٧٢
(٤) الحجرات : ٦

● **النميمـة :**

وهى من ضروب الكذب ، التى تدل على أن صاحبها ذو نفسـية مريضة لا هم له الا رؤية الناس متعادين متخاصمين ، وان أكبر سلاح يحارب به النمام هو عدم الاستماع له ، وهذا ما يأمرنا به الله سبحانه : **﴿ ولا تطع كل حلاف مهين . هماز مشـاء بنميم ﴾(١) .**

فالمشـاء بنميم هو ناقل حديث السـوء من قوم الى آخرين . ومثل هذا النمام نهى الله عن تصديقه وطاعته لأنه يفسـد بين الناس .

* * *

٥ ـ احتقار الغير :

من أهـداف القرآن الكريم احترام الغير لحفظ وحدة الجماعة ونشر المودة بينها والقضاء على أسـباب الفرقة والعـداوة ، قال تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قـوم من قـوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نسـاء عسى ان يكن خيرا منهن ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالألقـاب ، بئس الاسـم الفسوق بعـد الايمان ، ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون ﴾(٢) .

يأمر الله المؤمنين فى هذه الآية بأن يحترموا غيرهم ويحافظوا على سمعتهم وكرامتهم وشعورهم ، فلا يستهزئون بأى فرد من الناس ذكرا كان أم أنثى ، ولا يحقرونه بالقول أو بالاشارة باليد أو اللسان أو نحو ذلك لمجرد رؤيته رث الهيئة فقير أو ذا عاهة ، اذ ربما كان المستهزأ به خير من المستهزىء فيكون هـذا قـد ظلم نفسـه بتحقير من وقـره الله ، فضلا عن أن المستهزأ به لن يرضى عن ذلك بل سوف يحمله الهزء على أن يفتش عن عيوب المسـتهزىء به ويذيعها ، وان لم يجد فيـه ما يعيبه اختلق له معايب ونسـبها اليه وألبسها ثوب الصـدق فيتناقلها الناس وفى ذلك ما فيه من الضرر بالمستهزىء نفسه .

---

(١) القلم : ١٠ ، ١١ (٢) الحجرات : ١١

فاذا علمنا ذلك كله أدركنا أن السخرية تورث البغضاء فى القلوب ، وتقطع روابط المودة بين **الأفراد** .

ثم نهى الله أن يذكر أحد معايب غيره فى حضرته والطعن فى شخصه ، لأن ذلك داعية لاثارة العداوة أيضا بين أفراد المجتمع ، ويذكر الله فى هذه الآية أيضا أن المؤمنين كنفس واحدة لا يليق أن يطعن بعضهم بعضا ، فمتى عاب الانسان أخاه فكأنما عاب نفسه ، وهذا معنى قوله تعالى : **﴿ ولا تلمزوا أنفسكم ﴾** .

كما نهى الله أن يدعو أحد أخاه بلقب يكرهه : **﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾** ولا فرق أن يكون اللقب المكروه صفة له أو لأبيه أو لأمه أو لغيرهم ممن له بهم صلة لأن ذلك يورث الحقد فى الصدور .

ثم بين الله أن السخرية واللمز والتنابز بالألقاب موجبة للفسوق والخروج عن طاعة الله ، فلا يليق بالمؤمن أن يطلق عليه كلمة فاسق بعد أن عرف بالايمان ، والذى لا يرجعون عن اقتراف هذه الخصال الذميمة فأولئك هم الذين ظلموا أنفسهم لأنهم عرضوها لسخط الله .

* * *

٦ ـ الظن السيء والتجسس والغيبة :

وجاء فى القرآن فى الدعوة الى احترام الناس :

﴿ يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا ، فكرهتموه ، واتقوا الله ، ان الله تواب رحيم ﴾(١) .

نهى الله فى هذه الآية عن ظن السوء بالمؤمنين لأنه مدعاة الى تحقيرهم والى ايقاع الضرر بهم ، ولهذا حذر الله منه بقوله :

---

(١) الحجرات : ١٢

﴿ **ان بعض الظن اثم** ﴾ ويشترط فى حرمة الظن أن يكون المظنون بهم ممن عرفوا بالصلاح والأمانة ، أما الذين يتعاطون الخبائث والمنكرات فلا يحرم الظن السيء بهم .

ثم نهى الله عن التجسس على المؤمنين والبحث عما استتر من أمورهم ، لأن ذلك تعرض منهم لما لا يعنيهم وما لا يفيد ، وهذا لا يثمر الا الضغينة .

أما ما تفعله الحكومة من بث العيون لتتبع خطوات المفسدين الداعين الى الفتنة فهو لا يشمله النهى المنصوص عليه فى الآية القرآنية السابقة ، لأن النهى غايته كل ما يثير العداوة بين الناس .

وأخيرا نهى الله عن الغيبة ، وهى : أن يذكر الانسان أخاه المسلم فى غيبته بما كرهه ، سواء أكان الذكر صراحة أم كناية أم اشارة أم رمزا ، وسواء أكان ما يذكره متعلقا بدينه أم دنياه ، وبخلقه أم خلقه ، لأن فى ذلك اثارة للعداوة بين الناس .

وقد نفر الاسلام من الغيبة هذه ، حتى جعل المغتاب كأنه يأكل لحم أخيه المؤمن ميتا ، فقال سبحانه : ﴿ **ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا ، فكرهتموه ، واتقوا الله ، ان الله تواب رحيم** ﴾ أى أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه بعد مماته ؟ فاذا كنتم لا تحبون ذلك ، بل تكرهونه ، فكذلك فاكرهوا أن تغتابوه فى حياته . أما المجاهر بالفسق والداخل فى مواطن الريب فلا يحرم ذكر حاله اذا قصد التنفير من عمله والتحذير من سلوكه .

ثم ختم الله الآية بالدعوة الى تقواه لأنه يتوب عمن يمتنع عن هذه الصفات الذميمة .

* * *

٧ ـ الزنا :

الزنا رذيلة تحرم الانسان من الطمأنينة النفسية التى تتمتع بها النفس الطاهرة المستقيمة ، فالعفة تجلب لنا السلام وطمأنينة النفس ،

بينما الزنا يدخل القلق الى نفوسنا ويولد فيها الشعور بالاثم ، ذلك الشعور الذى يصيب النفس بأضرار شتى ، وقد وصف لى أحد الذين تورطوا فى هذه الرذيلة نفسية الزانى بقوله تعالى : ﴿ **يحسبون كل صيحة عليهم** ﴾(١) ، وكل نظرة تأنيبا لهم .

والزانى لا يسلك الطريق المشروع ، وهو الزواج ، لأنه يريد أن يستمتع على حساب غيره استمتاعا لا يكلفه شيئا من التضحية والاخلاص للغير ، بينما الزواج ناموس طبيعى يفرض على المرء أن يبذل بعض حياته لغيره ، ويخلف أولادا يحسن تربيتهم فيصبحوا أفرادا صالحين غيورين على الخير العام .

هذه هى المتعة الروحية التى يشعر بها المتزوج .

والزنا كالسيل يغرق صفاتنا الأدبية ويطفىء ما بنا من نور وخلق كريم ، ويخلف لقطاء يكونون عالة على المجتمع ، ويحملون شعورا لا يمحى من الألم ، ونظرة حنق على هذه الحياة التى حرمتهم لذة العيش فى كنف أبوين يحنوان عليهم ويهيئان لهم مستقبلا زاهرا .

والزواج هو الرابطة الانسانية التى تصل ما بين الجنسين بالود والرحمة والتضحية كما صرح بذلك القرآن ﴿**وجعل بينكم مودة ورحمة**﴾(٢) بينما الزنا يجعل علاقة الجنسين حيوانية قائمة على اللذة العابرة والمنفعة الشخصية مما يجر الى كثير من العداوات .

لهذا حرم الاسلام الزنا ، ووصفه بأنه فاحشة وأنه طريق السوء الذى يجب على الأمة أن تجتنبه . قال تعالى ﴿ **ولا تقربوا الزنا ، انه كان فاحشة وساء سبيلا** ﴾(٣) وكان من سمو الاسلام أن شرع العقوبة الزاجرة لهذه الرذيلة ـ مائة جلدة ـ أو الرجم للمحصن . وذلك لأن الأخلاق ليس لها من الاحترام ولا يمكن تطبيقها اذا لم يكن لها من قوة العقوبة ما يكفى أن تزجر النفوس المريضة الشريرة بخلاف

---

(١) المنافقون : ٤
(٢) الروم : ٢١
(٣) الاسراء : ٣٢

ما اذا كانت تعاليم الأخلاق فى دائرة نظرية بحتة ، فانها لا تؤدى الى الغرض المطلوب •

* * *

٨ ـ الغضب :

الغضب من الرذائل الخلقيـة التى اذا تحكمت فى نفوس النـاس وتمكنت من مجتمعاتهم كان لها أسـوأ الأثر فى حياتهم ، وتنائج بشعة فى تمزيق روابط المودة بينهم •

فالانسـان حين يشتد غيظه يفقد الرشـد والصواب • ويصـبح وحشـا ضاريا لا يدرى ما يفعل ، ويظن أنه بذلك يظهر بمظهر المحترم لنفسـه المحافظ على كرامتها وهو انما يظهر بمظهر الطائش الأحمق ، وهو لا شـك خاسر لأن الغضب يعتبر شروعا فى الاعتداء بينما يعتبر الحلم دليل فطنة ورجاحة عقل • كمـا أن الانفعال الذى يثيره الغضب ضـار بصحة الانسان من وجوه كثيرة كما أثبت الطب ذلك •

لذلك كله جعـل الاسـلام من صـفات المتقين الذين يسـتحقون رضـوان الله عـدم الاستسـلام للغضب • قال الله تعالى فى وصفهم : ﴿ **والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين** ﴾(١) •

فالغيظ هو أشـد الغضب ، وكظم الغيظ هو الامساك على ما فى النفس من الغضب حتى لا يظهر له أثر •

ولا يدعو القرآن الى كظم الغيظ فقط ، بل يدعو الى العفو على المعتدى الذى أثار الغضب ومقابلته بالاحسان ، فالانسان لا يثار غضبه الا عند الاعتداء عليـه أو انتقاص حقه من الغير ، وهذه أرفع منزلة من السمو الخلقى يمكن أن يسلكها انسان عند فوران غضبه •

فالانسان فى غضبه حاكم غير منصف ، لا يرى فى وقت غضبه صوابا،

---

(١) آل عمران : ١٣٤

لذلك تأتى أحكامه بعيدة عن الحق ، لهذا جعل الاسلام من صفات المؤمنين العفو عند الغضب ، قال الله تعالى : ﴿ **واذا ما غضبوا هم يغفرون** ﴾(١) .

والرسول محمد صلى الله عليه وسلم عد مجاهدة النفس وامتلاكها عند الغضب من أمارات البطولة : « ليس الشديد بالصرعة ، انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب »(٢) والمعنى : ليس القوى الذى يصرع خصمه ، بل القوى الذى يسيطر على نفسه عند الغضب .

فعلى الذين ينشدون الرقى الأدبى أن يتعودوا امتلاك نفوسهم ويضبطوا كل نزوة يبعثها الانفعال الطارىء فينطلق بها الفم قبل أن يمحصها العقل فانهم أحرى بذلك أن يجتنبوا مشاكل لا حصر لها .

* * *

٩ ـ الحسد :

الحسد من الرذائل الخلقية أيضا ، وهو من أقبح الخصال التى تصيب الانسان وتنكد له عيشه ، فإن الحسود الذى يتمنى الشقاء والنحس لغيره يشقى نفسه أيضا بهذا الحسد ، فهو بدلا من أن يستمد السرور مما أوتى من خير نراه يستمد العذاب من الخير الذى أوتيه سواه . وعصرنا الحاضر يقوم فيه الحسد بدور خطر ذى أهمية بالغة ، فالفقير يحسد الغنى ، والنساء يحسدن الرجال ، والقبيحات يحسدن الجميلات ... وهكذا ، مما يجعل بعض الأمة يكره بعضها الآخر ويتمنون لهم الشقاء .

فالحاسد خلقه اللؤم ، ولذته الوشاية بين الناس والوقيعة والدس بينهم ، فلا ينفك يدس للرجل الناجح حتى يشوه سمعته الأجل

---

(١) الشورى : ٣٧

(٢) رواه البخارى ـ جـ ٧ ص ١٥ ، ٩٣ ـ كتاب الأدب .

أن يحل محله ، أو يجعل منه انسانا فاشلا مثله ، فالحسود انسان فقد الثقة بنفسه واستشعر العجز عن تحقيق غاياته ، لذلك نهى القرآن عن الحسد : **﴿ ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ، للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ، واسألوا الله من فضله ﴾(١)** .

نهى الله فى هذه الآية عن تمنى ما أوتى الغير وهو التعرض له بالقلب حسدا ، ثم أخبر الله المؤمنين بأن ما يكتسبه الانسان هو نتيجة عمله وسعيه ، فعلى المؤمنين أن يعتمدوا على جهودهم ، ومواهبهم لنيل ما يرغبونه ، وما حرموه فليسألوا الله أن يعطيهم من فضله وانعامه .

وأمر الله فى موضع آخر بالاستعاذة به من الحاسد : **﴿ ومن شر حاسد اذا حسد ﴾(٢)** ، والحاسد يستحق الرثاء والشفقة مما يلاقيه من ألم ، فما أحرى بنا أن نقابل حسد الحاسدين بالعفو عنهم وعدم مؤاخذتهم على حسدهم الذى لا يضر الا أنفسهم وهذا ما يأمرنا به الله سبحانه : **﴿ ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ، فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره ﴾(٣)** .

● **علاج الحسد :** وهناك وسائل شتى للتخلص من الحسد منها : أن يقنع الانسان بما يصادفه فى حياته من خير ، ويؤدى واجبه مع عدم المقارنة بين حاله ومن هو أسعد منه حظا ، بل ينظر الى من هو دونه ليدرك فضل الله عليه ، وهذا ما يقوله الرسول صلى الله عليه وسلم : « اذا نظر أحدكم الى من فضل عليه فى المال والخلق فلينظر الى من هو أسفل ممن فضل عليه »(٤) .

* * *

(١) النساء : ٣٢ (٢) الفلق : ٥
(٣) البقرة : ١٠٩
(٤) اللفظ لمسلم ـ جـ ٤ ـ ص ٢٢٧٥ ـ ٢٩٦٣

١٠ ـ اللغـــو :

وفى الاسلام عامل قوى للسمو الروحى والنجاح ، والنجاح فى هذه الحياة هو ما دعا اليـــه القرآن من الاعراض عن الثرثرة والهزل . والباطل من القول والفعل ، وكل ما توجب المروءة الغاءه ، وهو ما ســماه الله لغوا ، جاء فى القرآن : ﴿ **قـد افلح المؤمنون . الذين هم فى صـلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون** ﴾(١) .

وقد تكرر فى القرآن النهى عن اللغو بصور شتى ، قال الله تعالى فى وصف عبـــاده المقربين : ﴿ **واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنـــا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين** ﴾(٢) .

ويقول سبحانه فى وصفهم : ﴿ **واذا مروا باللغو مروا كراما** ﴾(٣) .

أى مروا معرضين عنه مترفعين بأنفسهم عن مشاركة أهل اللغـــو .

ويدخل فى معنى اللغو ما استحدثه الناس من صنوف اللهو الفاجر الذى لا يهذب النفس ولا يرقى الشعور وذلك لاشتماله على كل ما يثير الشهوات ويفسد الخلق الانسانى .

وإن من أسباب رقى الشـــعوب : اعراضها عن اللغو ، وانهماكها فى العمل المفيد المثمر ، بعكس ذلك الشعوب المتخلفة التى يكثر فى أفرادها اللغو والكلام الفـــاحش فى أحاديثهم واضـــاعة الوقت بدون فائدة مجـــدية(٤) .

* * *

---

(١) المؤمنـــون : ١ ــ ٣ (٢) القصص : ٥٥

(٣) الفرقان : ٧٢

(٤) انظر : روح الدين الاسلامى ــ عفيف عبد الفتاح طبـــارة ، ص ٢٢٥ ــ ٢٤٠ .

المبحث الرابع

شـــد الأزر

مكث موسى بعد ولادته عدة أشهر فى كنف والدته ، ولمـا خافت افتضاح أمرها ألهمها الله أن تهىء له صندوقا تضعه فيه ثم تطليه بالقار ، ثم تلقى به فى نهر النيل وقـد هدأ الله من روعها ، وبشرها بأنه سـيرجعه اليهـا ويجعله من المرسلين .

انتشل بعض آل فرعون الصندوق من المـاء ، وعندما فتحوه وقعت عين امرأة فرعون على الطفل موسى ألقى الله محبته فى قلبها ، وأدركت أن زوجها سيقتله كما قتل جميع أولاد بنى اسرائيل ، فقالت له : هـذا الولد سيكون مسرة عين لى ولك ، لا تقتله عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا بعد أن حرمنا من الأولاد ، فوافقها فرعون على ذلك واستبقاه لها ، وهكذا نجـا موسى من الهلاك المحقق ، وكان فرعون ووزيره هامان وجنودهما لا يدرون ما يخبئه القـدر لهم من أنهم انتشلوا من سيكون لهم عدوا ، ومصدرا لحزنهم وسببا لهلاكهم بسبب كفرهم وطغيانهم .

وأتوا لموسى بالمراضع ولكنه عافهن جميعا ، فتقدمت أخته وعرضت عليهم أن تدعو لهم امرأة ترضعه ، فقبلوا ذلك وبعثوها فى طلب المرضعة فجاءت بأمه فأستأنس بها الوليد والتقم ثديها دون سـائر المراضع ، وهكذا أيقنت أم موسى أن وعد الله حق بعد أن أرجع اليها وليدها .

قال تعالى :

﴿ واوحينا الى أم موسى أن ارضعيه ، فاذا خفت عليـه فالقيـه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى ، انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسـلين . فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ، ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين . وقالت امرأة فرعون قرة عين لى ولك ، لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وهم لا يشعرون . واصـبح فؤاد ام موسى فارغا ،

ان كادت لتبدى بـه لولا ان ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين . وقالت لاخته قصيه ، فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون . وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون . فرددناه الى امه كى تقر عينها ولا تحزن ولتعلم ان وعد الله حـق ، ولكن اكثرهم لا يعلمون ﴾(١) ، (٢) .

ولمـا كبر موسى ــ عليه السلام ــ فى بيت فرعون ، واشتد عوده، وقوى ساعده وعلم أنه من بنى اسرائيل قرر فى نفسه أن يكون ظهيرا لهم..

وعندئذ اتجهت أنظار المستضعفين من بنى جنسه اليه لينقذهم من الظلم والتعسف والاستبداد الذى فرضه عليهم فرعون وقومه . وبينما هو خارج من العاصمة الفرعونية ، رأى شجارا يدور بين مصرى وعبرانى وقد احتدم الخلاف بينهما وتطور الى عراك ، فهتف بـه العبرانى أن يسـاعده وينصره ، فاستجاب له موسى وضرب الغريم المصرى فأرداه قتيلا ، وثار القبط ضد موسى وشيعته ثم اتسعت ثورة المصريين ضـد موسى عندما استصرخه عبرى آخر على قبطى فى الطريق مرة أخرى ، فذهب القبطى ، ونقل الخبر الى فرعون الذى أرسل بطلب موسى ليقتله، وفى هذا يقول الله تعالى :

﴿ ودخل المدينة على حين غفلة من اهلهـا فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه ، فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه ﴾(٣) .

وجاء موسى رجل من المدينة ، ينبئه أن القوم يأتمرون به ليقتلوه ونصحه بالخروج من ديار فرعون ، فلم يجد موسى بدا من الخروج هربا مما يدبر ضده من شر ، ويقول الله فى هذا :

---

(١) القصص : ٧ ــ ١٣

(٢) انظر : مع الأنبياء فى القرآن الكريم ــ عفيف عبد الفتاح طبارة ص ٢١٩ ، ٢٢٠

(٣) القصص : ١٥

﴿ وجاء رجل من أقصا المدينة يسعى قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين . فخرج منها خائفا يترقب ، قال رب نجنى من القوم الظالمين ﴾(١) .

* * *

● **موسى .. فى مدين :**

فاتجه الى الشرق ، حيث حط عصا الترحال بمدين مقر نبى الله شعيب ، وهناك وجد امرأتين تقفان على ماء لمدين ، ولا تستطيعان التزود منه ، لما حوله من زحام شديد ، فلما خفت حدة الزحام سقا لهما ، ثم انصرفتا ، واخبرتا أباهما بأمر موسى ، فعادت اليه احداهما تدعوه لزيارة أبيها ، وكان شيخا كبيرا فقص عليه موسى أمره ، فطمأنه الشيخ ثم زوجه باحدى بناته ، وكان صداقه ، أن يقوم موسى برعى غنم الشيخ ثمانى سنين .

وبعد أن أتم موسى ــ عليه السلام ــ مدة الخدمة ــ الثمانى حجج فكر فى العودة الى مصر ، آملا أن يكون القوم قد نسوا خطيئته ، ليعيش بجانب بنى اسرائيل .

وترك موسى مدين ، وسار مع زوجته فى طريق عودته الى مصر ، حتى وصل الى طور سيناء ، هنالك ظن أنه ضل الطريق ، فوقف متحيرا مترددا ، ولكنه ما لبث أن أبصر نارا تشتعل فى جانب الطور الأيمن ، فأمر أهله أن يمكثوا حيث هم ليأتيهم بخبر هذه النار أو بقبس منها .

* * *

● **الأمر بالذهاب الى فرعون :**

فلما أتى الى النار التى رآها ناداه ربه فقال :

﴿ اذ رءا نارا فقال لأهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى . فلما آتاها نودى يا موسى . انى انا ربك فاخلع نعليك ، انك بالواد المقدس طوى . وانا اخترتك فاستمع لما يوحى .

---

(١) القصص : ٢٠ ، ٢١

انني أنـا الله لا اله الا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكرى . ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى . فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بهـا واتبع هواه فتردى . وما تلك بيمينك يا موسى . قال هى عصـاى اتوكؤا عليها واهش بها على غنمى ولى فيهـا مآرب اخرى . قال القهـا يا موسى . فالقاها فاذا هى حية تسعى . قال خذها ولا تخف ، سنعيدها سيرتها الأولى . واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سـوء آية اخرى . لنريك من آياتنا الكبرى . اذهب الى فرعون انه طغى ﴾(١) .

اطمأن موسى ــ عليه السلام ــ حين ناداه ربه ، وهدأت نفسـه وسـكن قلبه ، بعد أن فزع وخاف من تغير شكل عصاه الى حيـة تسعى .

تلقى موسى ــ الرسول ــ الأمر من الله بالتوجه الى فرعون ، ليخرجه وملأه من الظلمات الى النور وليرفع علم الحق خفاقا فى البلاد ، فينبلج نور الرشاد والهدى على رباها ، ويتوارى غلس الضلال من علاها ، وأعطاه ربه برهانين هما : انقلاب العصا الى حية تسعى ، ويده التى أدخلهـا فى جيبه فأخرجها بيضاء من غير سوء .. فهما ــ اذن ــ برهانان من الله له يعزز بهما كلمته ويعلى بهما دليله أمام خصمه وعدوه فرعون العنيد .

* * *

● **رب انى اخاف أن يقتلون :**

لئن كان موسى قد ربط الله قلبه بالايمان ، ووثق بالبراهين دعوته ، فأشهده حجتين تعضدانه وتسندانه ، ليقف كالطود أمام فرعون وملئـه وما جمعوا ، فيساجل ويناضل ويقرع الحجة بالحجة ، ويدفع الباطل المظلم بالحق الواضح . لئن كان ذلك كله فان موسى يشعر بثأر قـديم بينه وبين فرعون ، فقد طلبوه منذ أمد بعيد ليثأروا منه فهرب وفارق الأهل والوطن لينجو بنفسه من غائلة فرعون وقومه شر ما بيتوا له . ومع هذا الخوف الذى يدعوه الى الاحجام والحذر من دخول المدينة الفرعونية

---

(١) طـه : ١٠ ــ ٢٤

تنفيذا للأمر الالهى بابلاغ دعوة الله الى فرعون • فان الشوق يتحرك فى قلبه حنينا الى الوطن فكيف يحقق مطلبه هذا ؟! اذن فليعلن عما يجيش فى نفسه من أمل ومطلب ، بدل أن تظل حبيسة فى صدره لذلك فاض قلبه بالضراعة الى ربه الذى كلفه وشرفه بالمهمة الشاقة لعله يجد فى رحابه تعالى : مخرجا مما يخاف ، ومأمنا مما يحذر ، فطلب من ربه أن يرسل معه أخاه هارون ليكون عضدا له عند فرعون ليأمن ما يكره من بطشه وجبروته ، فهتف :

﴿ قال رب انى قتلت منهم نفسا فأخاف ان يقتلون • وأخى هارون هو أفصح منى لسانا فأرسله معى ردءا يصدقنى ، انى أخاف ان يكذبون • قال سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما ، بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون ﴾(١) •

﴿ قال رب اشرح لى صدرى • ويسر لى أمرى • واحلل عقدة من لسانى • يفقهوا قولى • واجعل لى وزيرا من اهلى • هارون أخى • اشدد به ازرى • وأشركه فى أمرى ﴾(٢) •

﴿ قال قد اوتيت سؤلك يا موسى ﴾(٣) •

أجاب الله دعاء نبيه موسى تكريما له ، وتدعيما لرسالته ، وتوضيحا لشأن الحق ، فألهم أخاه هارون أن يذهب الى حيث يقيم ليعضده ويحمل معه أعباء الرسالة • فلبى هارون نداء الحق وسار الى موسى حيث التقيا بجانب الطور الأيمن •

بهذا اطمأن فؤاد موسى ، وامتلأت نفسه قوة وسندا ، فتهيأ للذهاب الى فرعون ، ودعوته الى عبادة ربه ، والاذعان لشريعته • فيما يلى قول الله تعالى فى شأن ارسال موسى وهارون :

﴿ ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين • الى فرعون وملأه فاتبعوا أمر فرعون ، وما أمر فرعون برشيد ﴾(٤) •

---

(١) القصص : ٣٣ ـ ٣٥ (٢) طه : ٢٥ ـ ٣٢
(٣) طه : ٣٦ (٤) هود : ٩٦ • ٩٧

﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملأه فقال انى رسول رب العالمين ﴾(١) .

﴿ ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون الى فرعون وملأه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ﴾(٢) .

﴿ ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين . الى فرعون وملأه فاستكبروا وكانوا قوما عالين ﴾(٣) .

* * *

● **الدعوة فى رفق :**

ان صاحب النفس المغرورة ، والقلب الغليظ ، والمتعاظم بأبهة الملك وسلطانه ، المتفاخر بعظمة السطوة والتحكم الدكتاتورية .. هذا الذى يحمل بين جنبيه مثل هذه الخلال المذمومة . لا تنفع معه دعوة بعنف . أو خطاب بغلظة من شأنه أن يحمله على العناد . ويزيده مكابرة وصلفا ويدفعه الى الاستمرار فى التمرد .

ولقد كانت الوسائل الأولى لدعوات الرسل والأنبياء تقوم على أساس : القول اللين والعبارة المهذبة والحلم فى الخطاب . والاقناع بالحجة .. فهى ــ اذن ــ وسائل تجذب ولا تنفر وتقرب ولا تبعد :

﴿ ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن ﴾(٤) .

ومن أولى من رب السموات والأرض والناس بأن يعلم رسله الأدب ورقة العبارة . وحسن المعاملة . وجمال الأسلوب . وهم الذين أرسلوا لأقوام تشعبت نفوسهم بعقائد باطلة وتحجرت قلوبهم من طول تمسكهم بشرائع التحكم والعصبية والتعالى .

كذلك أمر الله تعالى نبيه موسى حين أرسله الى فرعون **أن يترفق**

---

(١) الزخرف : ٤٦ (٢) يونس : ٧٥
(٣) المؤمنون : ٤٥ ، ٤٦ (٤) النحل : ١٢٥

بـه فى الدعوة • وأن يلين له الخطاب • ليسـد أمامه منافذ التمحل والاعتـذار ولعـله أن يلين من قسـوته • وتخشع سطوته • وينزل من عليـائه :

﴿ اذهب انت واخوك بآياتى ولا تنيا فى ذكرى • اذهبا الى فرعون انه طغى • فقولا له قولا لينـا لعله يتذكر او يخشى ﴾(١) •

﴿ واذ نـادى ربك موسى أن ائت القـوم الظالمين • قـوم فرعون ، ألا يتقون ﴾(٢) •

* * *

● خـوف .. واطمئنان :

وخشى موسى وهارون أن يبادرهما فرعون بالعدوان وهما ضعيفان: وهو فى ذروة سطوته وجبروته • لكن الله تعالى طمأنهما • وآمن خوفهما بأن لا يخافا من فرعون فهو معهما يسمع كلامهما • وهو معهما بنصره وتأييده وحفظه :

﴿ قالا ربنـا اننـا نخاف أن يفرط علينا او أن يطغى • قال لا تخافا ، اننى معكما اسمع وارى ﴾(٣) •

﴿ قال كلا ، فاذهبا بآياتنا ، انا معكم مستمعون ﴾(٤) •

واطمأن موسى وهارون الى المعية الالهية : والنصرة الربانية فمضيا الى فرعون ــ عزيز مصر ــ ليبلغاه دعوة الله الهادية الخيرة • وليخلصا بنى اسرائيل مما يرزحون تحته من ظلم وعذاب • والى القارىء ما قصه القرآن من خطاب موسى وهارون لفرعون :

﴿ وقال موسى يا فرعون انى رسول من رب العـالمين • حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق ، قد جئتكم ببينة من ربكم فارسـل معى بنى اسرائيل ﴾(٥) •

---

(١) طـه : ٤٢ ــ ٤٤
(٢) الشـعراء : ١٠ ، ١١
(٣) طـه : ٤٥ ، ٤٦
(٤) الشـعراء : ١٥
(٥) الأعراف : ١٠٤ ، ١٠٥

﴿ فأتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم ، قد جئناك بآية من ربك ، والسلام على من اتبع الهدى . انا قد اوحى الينا ان العذاب على من كذب وتولى ﴾(١) .

﴿ فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين . أن ارسل معنا بنى اسرائيل ﴾(٢) .

* * *

● **مكابرة فرعون واستهانته بالدعوة :**

وما كاد فرعون يسمع من موسى دعوته الى الله حتى استهان بها . واستخف بمضمونها . وأنكر دعوته . وبادره باتهامه وأخيه بفتنتهم . ومحاولة اخراجهم من معتقدات آبائهم لتكون لهم السيادة والسلطان فى بنى اسرائيل : ﴿ قالوا اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء فى الأرض وما نحن لكما بمؤمنين ﴾(٣) .

ثم أردف فرعون يقول : ألست أنت الذى ربيناه فى بيتنا وأنشأناه على فراشنا . وأحطناه برعايتنا وأسبغنا عليه من نعمنا مدة من السنين ؟ نم تبلغ بك الجرأة أن تقابل احساننا بتلك الفعلة التى فعلتها . حين قتلت منا رجلا ثم جحدت نعمتنا عليك وذهبت . تدعونا الى عبادة اله آخر :

﴿ قال الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين . وفعلت فعلتك التى فعلت وانت من الكافرين ﴾(٤) .

ورد موسى على فرعون : اننى فعلت فعلتى تلك وأنا جاهل . لم يوح الى بعد . ولم أحمل عبء الرسالة . واننى لما خفت منكم البطش والفتك اضطررت الى الفرار . ثم أصابتنى نعمة الله ورحمته . فوهب لى علما وحكمة وجعلنى من المرسلين .

---

(١) طه : ٤٧ ، ٤٨
(٢) الشعراء : ١٦ ، ١٧
(٣) يونس : ٧٨
(٤) الشعراء : ١٨ ، ١٩

وهاك ما رد به موسى على فرعون عن تلك الفعلة كما يقصه الكتاب العزيز :

﴿ قال فعلتها اذن وأنا من الضالين . ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين ﴾(١) .

ورأى فرعون أن موسى عليه السلام قد رجحت كفته وقويت حجته وأفحمه بيانه . وغلبه فى الخطاب .. وعندئذ ثار واضطربت نفسه ، ولج فى غضبه . وحين عجزت حجته لجأ الى سلطانه . يريد أن يقهر بذلك موسى ليرغمه على العدول عن دعوته :

﴿ قال لئن اتخذت الها غيرى لأجعلنك من المسجونين ﴾(٢) .

لكن موسى لم يبال بتهديد فرعون . بل اطمأن الى دعوته . فانطلق يعلن فى ثقة وأمل وقوة أنه سيأتى له بحجة دامغة ومعجزة ناطقة تزيل عنه ما علق بذهنه من الريب والشكوك : ﴿ قال او لو جئتك بشىء مبين ﴾(٣).

ورد عليه فرعون : ﴿ قال فات به ان كنت من الصادقين ﴾(٤) .

* * *

● **آيات موسى المعجزة :**

كانت آيات موسى المعجزة هى :

١ ــ العصا التى تحولت باذن الله الى ثعبان عظيم .

٢ ــ شعاع يخرج من يد موسى بعد أن وضعها فى جيبه بهرت الناظرين .

٣ ــ العصا تبلع كل ما جاء به سحرة فرعون من ادعاء السحر .

---

(١) الشعراء : ٢٠ ، ٢١ (٢) الشعراء : ٢٩
(٣) الشعراء : ٣٠ (٤) الشعراء : ٣١

وجمع فرعون السحرة من كل فج لقهر موسى وتحديه وأسكاته ، لكن هيهات أن يحجب الشمس غبار ثائر دنس ، وأن يطمس معالم الحق افك الباطل وبهتانه وحقده .

تقدم السحرة وألقوا بما فى أيديهم من حبال وعصى . فدخل فى روع موسى أنها حيات حقيقية تسعى على الأرض . وخاف موسى ولكن الله طمأنه بقوله تعالى : ﴿ **قلنا لا تخف انك أنت الأعلى . وألق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا ، انما صنعوا كيد ساحر ، ولا يفلح الساحر حيث اتى** ﴾(١).

* * *

● **ايمان السحرة بموسى :**

اطمأن موسى الى نصرة الله . وتأييده لدعوته . وشده لأزره . وتنفيذا لأمره تعالى ألقى موسى عصاه . فاذا عصاه بقدرة خالقها القوى تلقف ما يأفك سحرة فرعون . وتبتلع ما أظهروه مما سحروا به أعين الناس من تخيل وافك . وهنا يستبين للسحرة الرشد من الضلال وعندما يلمسون الحقائق الرائعة يخرون ساجدين اعترافا منهم بصحة دعوة موسى واقرارا بجدية رسالته .

* * *

● **خروج موسى ببنى اسرائيل :**

استجاب الله لدعاء موسى عليه السلام . وأمره أن يخرج ببنى اسرائيل ليلا من غير اذن فرعون أو علمه . فقال جل شأنه : ﴿ **فاسر بعبادى ليلا انكم متبعون** ﴾(٢) .

خرج موسى ببنى اسرائيل ليلا الى حيث أمره مولاه طلبا للنجاة من حكم فرعون الظالم وبعد تعسفه فسهل الله له طريق الخروج من مصر . حتى اذا وصلوا البحر وجدوه سدا منيعا حال دون تحقيق غايتهم . وعاق طريقهم ومسيرتهم . لقد تصوروا أن الموت واقع بهم لا محالة فالبحر أمامهم . والعدو وراءهم . واشتد غضب فرعون عندما سمع بخروجهم

---

(١) طه : ٦٨ ، ٦٩ (٢) الدخان : ٢٣

من مصر هربا من ظلمه ، سار فرعون بجنوده وراء موسى ومن معه حتى أبصر بعضهم بعضا عن بعد ، ووقف قوم موسى وجلين خائفين خشية أن يدركهم فرعون وجنوده ، لكن موسى الواثق بالله المطمئن الى رحمته المتيقن من نصرته لجأ الى الله تعالى . لينقذه من طغيان فرعون ، وهتف فى ايمان وثقة : ﴿ قال كلا ، ان معى ربى سيهدين ﴾(١) .

* * *

● **نجاة موسى وتمزق فرعون :**

وهدى الله نبيه موسى الى سبيل النجاة . وأراه طريق الخلاص من عدوه ﴿ فاوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر ، فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ﴾(٢) .

ضرب موسى بعصاه البحر فانفلق وصار كالجبل ، عندئذ انجلت المخاف عن قوم موسى . وعبروا البحر . وبينما هم كذلك أبصروا فرعون وجنوده من ورائهم يريدون اجتياز البحر ليلحقوا بهم لكن الله ــ القادر على كل شىء ــ يعيد البحر الى حالته الأولى . فجرت مياهه وتلاطمت أمواجه واشتد عبابه فينزل بفرعون وجنوده العذاب المحتوم العادل . اذ غشيهم الماء فى كل مكان . وأطبقت مياهه عليهم وأغرقتهم .

* * *

● **نهاية الظالمين :**

غرق فرعون وجنوده وهلكوا ولم ينفعهم كفرهم وعصيانهم وجحودهم . فخرجوا من أموالهم وقصورهم وحليهم وفقدوا ملكهم وما كانوا يتقلبون فيه من نعم .

وعبر موسى البحر بقومه بعد أن نجاه الله من كيد فرعون وشره .. ثم مضى ببنى اسرائيل الى حيث أمر يتلقى من الله شرعا فيه هداية لبنى اسرائيل(٣) .

* * *

---

(١) الشعراء : ٦٢ (٢) الشعراء : ٦٣

(٣) انظر : الانبياء فى القرآن ــ سعد صادق محمد ، ص ١٦٩ ــ ٢٢٢ (بتصرف) .